مقدمة المعرب

ان هـذا العصر الذي آلى على نفسه تهديم كل قديم بالٍ يعتاز ـ فيما يميزه ـ بحركتين اجتماعيتين ليس يعرف خطورتهما الا من راقب سيرهما العجيب في الزمن الحديث وهما :

الحركة الاشتراكية

والحركة النسائية

أما الحركة الاشتراكية فانها ترمي في جوهرها الى التسوية بين البشر في الحقوق والواجبات والغاء الاثرة التي نالها البعض من جراء احتياز الاموال والاملاك وتوارثها جيلا بعد جيل ، حتى يتسنى لكل عامل أن ينال ثمرة تعبه الحقة فلا يعود ثمت امتياز الا لاقدر الناس على خدمة الناس

وأما الحركة النسائية فغايتها الاولى رفع مقام المرأة واعتاقها من عبوديتها وترقية جميع شؤونها المادية والمعنوية ، بحيث لا تعد متاعاً أو اداة للزينة والزخرفة ، بل مخلوقاً مستقلاً له غاية خاصة من الوجود يدأب في بلوغها

وبعبارة وجيزة ان الحركة الاولى ترمي الى هدم الحواجز القائمة بين الطبقات الاجتماعية في حين ان الحركة الثانية تروم ابطال التفاوت بين الشطرين اللذين يؤلفان البشرية

وكأن هذا الطحان الهائل لم يكن الا لينشط هاتين الحركتين . فلقد تقدمتا في بضع سنوات اضعاف تقدمهما في العقود الاخيرة . حتى لم يبق مجال للشك لدى كل متبصر فى أن العالم على وشك الدخول فى عصر

انقلابات اجتماعية عظيمة تتناول النظم الاساسية التي اعتمدها البشر دهوراً طويلة

ومهما يكن الامر فليس لهذه المسائل عندنا معاشر الشرقيين ما لها من الشأن عند اهل الغرب ولم تقتض احوالنا الاجتماعية والاقتصادية درس تلك المواضيع بما تستوجبه في العالمين الاوربي والاميركي من العناية والتدقيق . ولكن يتحتم علينا أن نراقب سيرها ونرى ما يتم من امرها عند الغربيين حتى نستفيد من اختباراتهم حين نبلغ مرتبتهم . فان سيل التقدم الحاضر جارفنا يوماً لا محالة — وليس ذاك اليوم في نظري ببعيد . والا تخلفنا عن مجرى المدنية الحديثة كما تخلفت الشعوب التي نسميها منحطة عن مجاري التقدم البشري في العصور السالفة

وعندي أن المسئلة النسائية اجدر المسئلتين بعنايتنا . ولقد تنبه غير واحد من كتّابنا الحديثين الى حالة المرأة الشرقية وما هي عليه من الجهل والضعف فكانت كتاباتهم بحر ثومة مباركة لم تلبث ان نمت برعاية المستنيرين من ابناء الناشئة الجديدة

وليس من شأن الشرقيين الآن ان يبحثوا في تخويل المرأة حقوق الانتخاب او نحو ذلك من المسائل التي لن يطلب منا حلّها الا بعد اجيال طويلة . وانما حاجتنا ماسة الى تعليمها التعليم المتين الملائم لحالتها وتربيتها التربية الصالحة التي بها تبرز ذاتيتها ويعلو شأنها وتسمو اخلاقها . فاذا كتب للشرق أن ينال قسطه من السعادة والهناء فلن يكون ذلك الا عن هذا الطريق

ولما كان « كل سعي يرمي الى ترقية المرأة واصلاح شؤونها ينبغي ان يتقدمه درس وافٍ في أخلاقها وأطوارها ، ثم في مصيرها وغايتها التي يمكن

ان تكون » فقد رأينا ابراز هذا الكتاب للعالم العربي على أمل ان يكون فيه للمشتغلين بتهذيب المرأة بصيص نور يعينهم على استجلاء ذلك الموضوع الخطير

* * *

ولطالما اشتقت الى مطالعة كتاب يشرح أخلاق المرأة وطبائعها وسجاياها تشريحاً علمياً وافياً . وما كنت لأوفق الى مرادي حتى كان الصيف الماضي فعثرت على هذا الكتاب ولم أكد أطالعه حتى وقع من نفسي أحسن موقع . ومع ان الكتب النفيسة التي يجدر نقلها الى اللغة العربية كثيرة فقد عولت على ترجمة هذا الكتاب من دونها لانه سلس المعاني قريب الى الافهام ـ مع كونه علمي المنهج

أما المؤلف فهو هنري ماريون الاستاذ سابقاً في كلية الآداب في باريس وهو من الاخصائيين في فنون التربية ولا سيما تربية البنات . وقد كانت مادة هذا الكتاب موضوع محاضرات القاها في تلك الكلية ولم تنشر الا بعد وفاته . ومع ان المؤلف درس أخلاق المرأة بوجه الاجمال فانه ـ بطبيعة الحال ـ أعار الفرنسية معظم عنايته . ولعل ذلك كان لحسن حظنا فان الشرقية شديدة الشبه بالفرنسية في روحها وخلقها واطوارها الاساسية

* * *

ولكن هذا الكتاب لن يُرضي فريقين من قرائه : اولهما فريق من الرجعيين سوف ينكر على المؤلف تسامحه في شأن المرأة وتعظيمه لمقامها ، وفريق آخر — ولا يكون الا من السيدات — ينكر بعض ما جاء

فيه من الصفات التي اتصفت بها المرأة . فكلمتي للفريق الاول ان قد آن لنا خلع ثوبنا البالي وتغيير نظرنا في المرأة ، وان المؤلف جدير بالاعجاب لرزانته واعتداله . أما الفريق الثاني فاستميحه عذراً على ما لا يروق في عينيه . ولكن لا يبرح من ذهن كل قارئة لهذا الكتاب ان الكمال لله وحده وان الانسان مفطور على الضعف ـ ولا سيما ان الفضائل والنقائص مترابطة على الدوام أي ان ما نحسبه فضيلة من وجه يعد رذيلة من وجه آخر . ولا ينسى لنا تقدير الكتاب حق قدره الا باستيعاب روحه وليس يجوز التمسك بفقرة منه دون بقيته

* * *

ولا حاجة الى الافاضة في الصعوبات التي يلقاها مترجم الكتب العلمية الى اللغة العربية . فقد تكبدنا مشقة عظيمة في تأدية مرامي المؤلف الدقيقة . ولم نرَ من الحكمة اعتماد كلمات معينة للدلالة على المراد من الكلمات الاصطلاحية الفرنسية وانما كان دأبنا على الدوام ترجمة فكرة المؤلف في ذاتها قبل ترجمة الفاظه . وهذا ما يضطر اليه كل من ينقل شيئاً من العلوم الحديثة الى اللغة العربية ـ ما دمنا مفتقرين الى مجمع لغوي رسمي يقرر قواعد الاشتقاق والتعريب

اميل زيدان